

لماذا أقسم الباري بمواقع النجوم؟



الآيات الوصفية في معاجز الله الكونية

إنَّ هدف البحث في اعجاز القرآن الكريم هو ربط الناس بهذا الكتاب المبارك. فبدون فهم هذا الكتاب الكريم تصبح القراءة سرداً ويكون الإنسان همَّه أن يختتم الآيات والسور. فبهذا الارتباط نفهم ولنلتذ بما نقرأ ونعرف أنَّ الذي بين أيدينا هو معجزة وكلما زاد ارتباطنا بهذا الكتاب العظيم ارتقى إيماناً وتعديل سلوكنا بسلوك القرآن الكريم. يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: (سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ) (الأنباء/37)، ويقول عزَّ وجلَّ: (سَدْرُهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَزْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَزْهَهُ الْجَقُّ) (فصلت/54)، اي القرآن. (السين) هي المستقبل الدائم المستمر، كلما زاد العلم بسطة كلما اكتشف الناس المزيد عن هذا الكتاب الكريم. لقد فهم أجدادنا الأقدمون الآيات الكونية بأسلوب مبسط، ويتقدم العلم اكتشف العلماء مزيداً من الاعجاز في آيات الكون، فنجد أن فهمنا لهذه الآيات المبهرة يتسع ويتجدد. وبالحقيقة لا توجد زاوية من الزوايا التي ينظر فيها المسلم أو المحايد إلى كتاب الله لا ويرى سورة من سور الإعجاز تشهد بأنَّ القرآن كلام الله وبأنَّ هذا النبي الخاتم موصول بالوحى

ولا ينطق عن الهوى. فالآيات الكونية وهي أكثر من ألف آية صريحة جاءت كلها لتشهد ببديع صنع الله، وإنَّ هذا الخالق العظيم الذي صنع هذا الكون بعلمه وحكمته وقدرته، قادر على إفشاء الكون وإعادة خلقه من جديد. ونرى هذه القدرة في زماننا في ظل المعرفة المتطرفة عن الكون ومكوناته، ففي سورة الواقعة يقول الحق: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا وَأَقْعُدُ النَّجُومَ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) (الواقعة / 75-76)، القسم هنا يأتي من قبل التنبيه، لل المسلمين وخاصة وللناس بعامة، إلى أهمية الأمر المقسوم به، لأنَّ الله سبحانه وتعالى غني عن القسم لعباده، ويعجب الإنسان هذا القسم بموضع النجوم. فالنجم عبارة عن كتلة من الغاز الملتهب المشتعل مضيء بذاته تظل شعلته لملايين السنين دون أن تنطفئ. فلماذا أقسم ربنا، سبحانه وتعالى، بموضع النجوم ولم يقسم بالنجوم نفسها. الآن بدأنا ندرك المعنى في ذلك. فالبدوي في عهد الرسول (ص) يسمع بهذا القسم فيقول: النجوم مواقعها عظيمة وتستحق أن يقسم بها لأنَّ لا طاقة للإنسان في الوصول إليها. أما الآن فنحن ندرك عمقاً أكثر في هذا القسم. إنَّ أقرب نجم إلينا يبعد 4.2 سنة ضوئية والستة الضوئية 9.5 مليون كيلومتر، فبالحقيقة إنَّ ما نرى من الجزء المدرك من الكون، وكله سماء الدنيا، يبلغ طوله 36 ألف مليون سنة ضوئية!! ويقدِّر أنَّ مجرتنا تحوي أكثر من 400 ألف مليون نجم وإنَّ في السماء أكثر من 200 ألف مليون مجرة!! إذن نرى عمقاً في هذا القسم لم يكن يدركه الساقون. فلنعد إلى السؤال: لماذا أقسم الله سبحانه وتعالى بموضع النجوم ولم يقسم بالنجوم ذاتها على عظم شأنها. الجواب الذي توصل إليه العلماء ومنذ سنوات قليلة مضت هو إنَّ الإنسان لا يمكن أن يرى النجم اطلاقاً، فالشمس وهي أقرب نجم لنا تبعد عنا 150 مليون كيلومتر فحينما ينبعض منها الضوء فإنه يصلنا بعد ثمانين دقيقة ونظراً لأنَّ الشمس تتحرك في مدارها بسرعة أكثر من ذلك بكثير، فإننا لا نرى الشمس ولكن نرى موقعاً مرت به. العلماء يقولون إنَّ أقرب نجم لنا يبعد 4.2 سنة ضوئية، فحينما ينبعض الضوء من هذا النجم فإنه يصلنا بعد أكثر من 50 شهراً، وبذلك يكون النجم قد تحرك من مكانه. ليس هذا فقط بل إنَّ هناك نجوماً ترى في صفحة السماء في ظلمة الليل واثبت العلم أنها قد انفجرت منذ آلاف السنين ولا وجود لها، وهذه آية من آيات الله سبحانه وتعالى. يتحدث القرآن في آية وصفية أخرى ويقول: (فَإِذَا النَّجُومُ طُمِسَتْ) (المرسلات / 8)، ويقول: (وَإِذَا النَّجُومُ ازْكَدَرَتْ) (التكوير / 2)، يؤكد العلم التجاري انه في مراحل حياة النجوم مرحلة انكشار ثم طمس، كيف؟ فالنجم يتوجه ويضيء أي يشتعل ذاته، ومن مسببات هذه الاشتغال عملية الاندماج النووي داخل جسم النجم. فإذا تحول لب النجم بالكامل حديد فإنه أما أن ينفجر أو يتكتس على ذاته بحيث لا يسمح للضوء أن ينفذ من خلاله فلا يرى، وقبل ذلك يمر بمرحلة انكشار أي اختفاء تدريجي للضوء حتى يختفي النجم بالكامل. فالقرآن الكريم يصف هذه

الحقيقة بوصف بديع: (وَإِذَا الْجُومُ ازْكَدَرَتْ) (وَإِذَا الْجُومُ طُمِسَتْ)، فالاختفاء التدريجي للضوء يعني الانكدار والاختفاء الكامل للضوء يعني الطمس، ويتحدث العلماء عن حالة مبهرة من حالات النجوم تعرف بالثقوب السود تتكدد فيها المادة فلا ينفذ منها الضوء وإذا سقط عليها الضوء تتبعه، إذن هذه الثقوب السود لا ترى ولم يتعرف عليها إلا حديثاً. وفي آية وصفية أخرى يقول عزّ وجلّ: (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ) (التكوين/ 15-16)، إنّه قسم عظيم قسمه الله سبحانه وتعالى بحقيقة لم يعرفها العلماء إلا منذ سنوات قليلة. والثقب الأسود عبارة عن نجم خانس يمثل مركز ثقل المجرة بما فيها من نجوم وكواكب وأقمار ومذنبات وشهب ونيازك نظراً لكثافته العالية حيث يتوقع أنّ وزن 1 سم 2 فيه يصل إلى 250 مليون طن نتيجة لتكدد المادة المبهر. والثقب الأسود دار عليه جدل كبير بين العلماء حتى اتفقوا على إنّه حقيقة كونية ولو إنّه لم يرى أبداً، أما كيف ادركوه؟ فقد أدركوه لأنّه يسحب باستمرار تياراً من الإلكترونات من النجوم التي لا يستطيع أن يبتلعها، وبحسابات رياضية تم إدراك مكانه. إذن فالنجم الخانس لا يرى وإنّ الله سبحانه وتعالى يقسم به على إنّه من صور بديع صنيعه في الكون. وقد ثبت علمياً بأنّ هذه النجوم الكثيفة (الثقوب السوداء) تتبع وهي تدور في مدارها وتتحول إلى حالة من الدخان يخلق منها نجوماً جديدة وهذا هو تفسير للجواري الكنس، أي مكانيس السماء وقد وصفها العالم الأميركي بأنها شافتات تنظيف عملاقة في السماء وإنّ هذا الانفجار والتتحول إلى حالة الدخان يعرف بدورة حياة النجم وكان الله سبحانه وتعالى يربينا عملية الخلق الأول في صفحة السماء. سبحان الله (... خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَبِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاءَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَذْيَنَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (الزمر/ 62-63). المصدر: مجلة الكلمة/ العدد الثالث

لسنة 2004م